ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Lec. Qaiser Saadi Yasser.

General Directorate of Education Nineveh.

Email:
qaysarsaadi1981@gmail.com
07728346889

Keywords:

Destruction , Al-Rashidi era, mukhtar

Article info

Article history:
Received 12.May.2022
Accepted 17.Aout.2022
Published 15.Nov.2022

The policy of destruction and its causes in the Islamic East throughout the Rashidun Era and the Umayyad state.

A B S T R A C T

This research focuses on the policy of destruction in the Islamic East during the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him), the Al-Rashidi era, and the Umayyad state. The study's geographical focus is on the Arabian Peninsula, Iraq, Syria (Al-Sham country). The study's topic was not previously covered except in rare cases. The term destruction has various connotations, but they all boil down to the same thing: it is anti-construction. The title of the study did not indicate what the demolished item was, although it included mosques, homes, churches, and palaces.

The destruction was carried out for a variety of reasons, including religious and societal ones. It has been used as a form of retaliation against opponents and those who feel animosity toward the Islamic state. It might be driven by racial prejudice, which Islam condemns, or by a refusal to marry. The destruction of political motives covers the largest part of the subject of study, it started by the fall behind of Imam Ali (as). It reached its peak during the Umayyad era, when Mukhtar bin Obaidullah Althagfy employed it as a form of retribution for all those who took part in the assassination of Imam Hussein (as) in Karbala. The governors and commanders of the Bani Umayya army also employed it against his foes. The preachers of Bani Abbas also utilized it throughout their revolt against the Umayyads.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss2.3319

سياسة الهدم العمراني وأسبابه في المشرق الإسلامي في العصرين الراشدي والاموي

م.د. قيصر سعدي ياسر
المديرية العامة لتربية نينوى

الخلاصة:

تسلط هذه الدراسة الضوء على سياسة الهدم في المشرق الإسلامي في دولة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي العصرين الراشدي والاموي، ويتحدد موضوع الدراسة جغرافيا في شبه الجزيرة العربية، وسوريا (بلاد الشام)، والعراق، وموضوع الدراسة لم يسبق التطرق إليه سابقا إلا ما ندر، والهدم يتفرع الى معانٍ عدة، وكلها تقريبا تصب في معنى واحد وهو ضد البناء، ولم يحدد في عنوان البحث ما الشيء المهدوم كونه يتضمن هدم المساجد، والكنائس، والدور، والقصور.

وأسباب الهدم كثيرة منها: الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وقد أتخذ وسيلة عقاب بحق المعارضين، وممن يضمر السوء لدولة الاسلام، وقد يكون وراءه تعصب عنصري نبذه الإسلام، أو رفض تزويج، والهدم ذو الأسباب السياسية طغى على مادة البحث، وبدأ في خلافة الإمام علي (ع)، وتصاعدت وتيرته في عصر الدولة الأموية، وأستخدمه المختار الثقفي، وسيلة عقاب لكل من شارك في قتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء, كما أستخدمه ولاة، وقادة جيوش بني أمية بحق معارضيهم، كما أستخدمه دعاة بني العباس في أثناء ثورتهم على الحكم الأموي.

الكلمات المفتاحية: الهدم ، العصر الراشدي ، المختار.

المقدمة.

تتضمن هذه الدراسة سياسات الهدم ، والهدم لغة له معانٍ متعددة ، منها: الكسر، والتدمير، و يشير إلى تفكيك الآراء، والخطط، وينصب تركيز الدراسة على الهدم المادي، ولم يحدد عنوان الدراسة أنواع الأشياء التي تم هدمها, لأنها كانت مخصصة لهدم المساجد الدينية والمنازل السكنية والقصور ، ويمكن أن يكون الهدم مرتبطاً بأسباب دينية أو اجتماعية أو سياسية، وكان الهدم لأسباب دينية في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، عندما هُدِم مسجد ضرار، وفي زمن عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وأعاد بناءها، وشغل الهدم المرتبط بالأسباب السياسية الجزء الاكبر من الدراسة الحالية.

ومن الجدير بالذكر أن زمن الخلفاء الراشدين خلا من سياسة الهدم، عدا خلافة الإمام علي (ع)، يبدو أن سبب غيابها خلال مدة خلافة أوائل الخلفاء الراشدين يرجع إلى حركة الفتح الإسلامي النشطة واهتمام المسلمين بها، كما أن المنازل السكنية لعديد من الناس كانت مصنوعة من الوبر، وقد تسارعت هذه السياسة في العصر الأموي ، فمن الواضح أنه عند وقوع الحروب والثورات يزداد تواتر هذه السياسة ، وقد تكون هناك دوافع اجتماعية من ورائها ، لذلك يتم تنفيذها من أصحاب السلطة ، وتعمل هذه السياسة رد فعل على أعمال محددة.

ينقسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة بحسب طبيعة المواد العلمية ، الأول يشمل البحث عن الهدم لأسباب دينية ، وعلى الرغم من قلة مواده لكنه يفرض نفسه في الترتيب التاريخي ، وقد حدث بعد معركة تبوك، وفي زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، و الثاني يشمل الهدم لأسباب اجتماعية، وراعى كذلك الترتيب الزمني للأحداث فيه، أما الثالث فقد تضمن الهدم لأسباب سياسة، الذي شغل مساحة كبيرة من هذه الدراسة، و يتعامل مع أحداث كل خليفة أو حاكم حسب مدد تاريخية.

المعنى اللغوي للهدم.

يعرف الهدم بأنه تدمير البناء وهو عكس البناء ، وجمعه أهدام ، (ابن منظور ، 1984، ج ١٢/ ص ٣٠٩).

وهناك معاني أخرى لكلمة هدم ، منها: نقض، إزالة، وكسر ، مثل هدم الأصنام ، مما يعني أنه كسرها. يمكن أن يصرف الهدم إلى الطلاق ، لأن الزواج الثاني ممكن أن يهدم الأول، ومن الممكن أيضا أن يصرف إلى هدم الآراء ، وهذا موضوع معقد ومتشعب ، وهو خارج نطاق هذا البحث الذي يتضمن الجوانب المادية للهدم ، وهو عكس البناء.

المعنى الاصطلاحي للهدم.

يتشابه المعنى الاصطلاحي كثيرا مع المعنى اللغوي ، لذلك يمكننا أن نعرف أنه هدم المبنى وتدميره.

الهدم كما ورد في القرآن الكريم.

جاء معنى الهدم في القرآن الكريم مرة واحدة، قال الله عز وجل في محكم كتابه: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ (سورة الحج , الآية 40).

أولا: الهدم ذو الأسباب الدينية.

نذكر في البداية هدم وحرق مسجد ضرار حيث قال الله عز وجل في محكم كتابه: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ. (سورة التوبة, الاية ١٠٧).

تدور قصة هذا المسجد حول بناء مسجد ضرار يسمى مسجد قباء ، بناه اثنا عشر شخصًا من المنافقين، جميعهم من أنصار بني عمرو بن عوف ، وجاء هؤلاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وكان على وشك الذهاب إلى تبوك ، فأسرعوا وقالوا: يا رسول الله بنينا مسجداً للمريض، وللشيخ الفاني ، والليالي الممطرة ويسعدنا مجيئك إلينا لتصلي فيه لنا، فأجابهم (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أنه مسافر، ولديه عمل كثير، وقد وعدهم بالمجيء إلى المدينة للصلاة فيه، لكن الله نهاه من ذلك ، وعندما عاد من سفره، وهو على أبواب المدينة أرسل شخصاً ليحرقه بسرعة ،ويقوم بهدمه (القمي، ١٩٨٣، ج١/ ص٣٠5).

والمقصود من هؤلاء هو تفريق المسلمين فبدل أن يصبحوا جماعة في المسجد وهو قباء، بذلوا قصارى جهدهم لتفريقهم ، وكان الراهب أبو عامر هو من فكر في بناء هذا المسجد، وهو من شجع على تشكيل الخط الحزبي يوم الخندق ضد النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، ولقب بأبي عامر الفاسق، وعندما فشلت هذه الجبهة في تدمير الإسلام ، التفت إلى الروم وطلب منهم المساعدة في تدمير الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، ثم كتب لأهل فريقه وأمرهم ببناء المسجد حتى يصلي فيه عند عودته من السفر، وأمرهم بتقوية أنفسهم بالسلاح، وجعل هذا المسجد مكاناً للطعن بدين الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، وقد أخبر الله رسوله بهذا الأمر، وأرسل من يهدمه، ويحرقه (الآلوسي، 1994، ج ١١/ ص٢).

وبعد أن حسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) الأمور، وتقوّى المسلمون، قرر هدم وتدمير الأصنام التي كان يعبدها العرب قديما، فأرسل جرير بن عبدالله لهدم وتدمير ذي الخلصة، وهو صنم مصنوع من الحجر الأبيض منقوش عليه كهيئة التاج، ويقع ذو الخلصة بين مكة واليمن على بعد سبع ليالٍ من مكة المكرمة ، وقد أطلق عليه اسم الكعبة اليمنية في العصر الجاهلي.

وفي سنة ثمان من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) بعث سرية سعد الأشهل لهدم وتدمير مناة ، لقبيلتي الأوس والخَزرج، وغسان، فذهب إليها مع عشرين من المسلمين، فوجد عليها سادناً قال الأشهل: ماذا تريد، قال الأشهل: هدم وتدمير مناة، وسار الأشهل إليها، ولما وصل إليها خرجت امرأة سوداء عريانة تضرب على صدرها، ودعت المسلمين بالويل، فتقدم الأشهل وقتلها، ثم سار هو وأصدقاؤه نحو الصنم ودمروه. (ابن سعد، ٢٠٠١، ج ٢/ ص ١47).

ويرجع شرف تدمير وهدم الأصنام الموجود في داخل الكعبة المشرفة للإمام علي(ع)، لأنه صعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبدأ يرميها واحدا تلو الآخر. (الطبرسي، 1966، ص ٢٠٠).

أُحرِقَت الكعبة بسبب معركة عبدالله ابن الزبير الجيس الأموي ، مما أدى إلى ضعف أسوارها، فقرر عبدالله ابن الزبير هدمها عام 183/64 م حتى تساوت مع الأرض، وفي تلك المدة امتنع الناس عن الهدم، الأمر الذي دفع ابن الزبير الصعود على البيت وبدأ بالهدم، وعندما رآه الناس تشجعوا وباشروا بالهدم، وعند الانتهاء من هدمها، أرشده ابن العباس بدق الخشب حولها لكي لا يبقى المسلمون من دون قبلة، بعدها باشر ببنائها، وثبت الحجر الأسود، ولما رأت قريش ذلك أبدت غضبها، وذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) بحكمته سمح لجميع القبائل بحمل الحجر الأسود وأعطى لكل قبيلة نصيباً في ذلك الأمر. (اليعقوبي، ١٩٨5، ج ٢/ ص ٢٩٠).

حاول الحجاج بن يوسف محو ما فعله عبدالله ابن الزبير عندما أعاد بناء الكعبة فقرر هدمها وإعادة بنائها، فباشر بذلك وتفرق تراب الكعبة المشرفة بين الناس، وعندما حاولوا إعادة البناء ، خرج عليهم ثعبان ليوقف البناء ، وهرب الناس إلى الحجاج بن يوسف، وأخبروه بما رأوه, فخاف أن يكون مُنع بناؤها، لذلك صعد إلى المنبر وطلب من الناس أن يوجهوه إلى شخص يعرف سبب البلاء فنهض إليه شيخ وقال: أنا أدُلك على من يعرف في الأمر، إنه علي أبن الحسين، وأخبرهم أنه رآه عند الكعبة آخذاً مقداراً من ترابها، فأرسل بن يوسف طالبا إياه، وعندما أتاه، أخبره بأمر الثعبان، وكيف منع البناء، فقال له علي أبن الحسين (ع): لماذا قصدت بناء إبراهيم وإسماعيل ، فرميته في الطريق وسرقته ، فاصعد إلى المنبر واطلب من الناس أن يعيدوا كل ما أخذوه، ففعل، وأعادوا كل التراب، فنهض علي أبن الحسين (ع)، ووضع الأساس، وطلب من الناس أن يحفروا، فلم تظهر الثعبان، واستمروا بالحفر إلى أن وصلوا إلى مكان القواعد، فطلب منهم أن يفسحوا المجال فاقترب من القواعد وغطاها بثوبه وبدأ بالبكاء، وبعدها غطاها بالتراب وطلب بالمباشرة بالبناء، وعندما ارتفعت الأسوار طلب وضع التراب في جوفها، فأصبح المكان مرتفعاً يتم الصعود إليه بالدرج. (الكليني، ١٩٤٧، ص ٢٢٢)

ثانيا: الهدم ذو الأسباب الاجتماعية.

حدث خلاف اجتماعي بين عبيد الله بن زياد وأخيه سليم ، وكان سبب هذا الخلاف أن عبيد الله تزوج بامرأة اسمها أُم محمد بن عبيد الله بن عثمان الثقفي، ثم طلقها ، وبعد انتهاء العدة تقدم لها أخوه وتزوجها مما أثار الكراهية بينهما، وفكر سلم بتقوية مركزه ليكون خصما قويا لأخيه عبيد الله الذي كان إذ ذاك والي البصرة، فذهب إلى الشام وأراد أن يلتقي يزيد بن معاوية فوجده واستقبله بأحرّ الترحيب، و سأله عن حال أخيه ولماذا هو هنا، فطمأنه وأخبره ان أخاه بخير، وإنه هنا طالب النظر إليه وليكون تحت حمايته، ثم علم يزيد أنه يريد أن يتولى بعض الأعمال، فقال له يزيد إن حب بني زياد هو من واجب آل سفيان ، ثم أمر الأولاد بإعداد المائدة، و أكلوا جميعًا، و بعد أن انتهوا من الأكل ، دعا يزد لتقديم الشراب، و دارت الكؤوس ، واستمرت ضيافة سلم يوما كاملا، وفي اليوم التالي أمر يزيد بتعيين سلم والياً على بلاد خراسان، وأرسل معه جيشا من الشام، وعندها وضع سلم الحارث بن معاوية المازني في مقدمة الجيش ، وودع يزيد وتوجه إلى البصرة ليصطحب معه ولده وأهله ، ويبلغ سكان البصرة بتوليته بلاد خراسان، ولكي يخرج معه من أهل البصرة من يرغب الجهاد (محمد بن جرير، 1983، ج5/ ص١٣٧)، وعندما وصل سلم البصرة ، نزل على الجسر، وكان أخوه عبيد الله يراقب كل من خرج من قومه لينضم إلى أخيه سلم، فيقوم بهدم داره، فهدم ودمر عددا كبيرا من دور أهل البصرة، الأمر الذي جبر سلم لإخبار يزيد بن معاوية، فأمر يزيد والي البصرة عبيد الله ببناء كل دار قام بتدميره، وأمر أيضا أن تكون مواد البناء من الآجر والجص والساج، فنفذ عبيد الله الأوامر وهو صاغر. (ابن أعثم، ١٩٩١، ص ١٣٩).

طلب معاوية بن أبي سفيان من إسحاق بن طلحة خطبة أخته أم إسحاق لابنه يزيد، فطلب منهم اسحاق أن يرسلوا رسولا للمدينة حتى يزوجه إياها, وفي تلك الأثناء وصل أخوها عيسى بن طلحة إلى بلاد الشام، والتقى بمعاوية بن أبي سفيان، فأخبره معاوية بالاتفاق الذي تم مع أخيه اسحاق، فقال عيسى ليزيد: "أنا أزوجك إياها" ، فزوجها ليزيد بن معاوية في بلاد الشام، ولم يكن لإسحاق علم بذلك، وفي ذلك الوقت طلب الإمام الحسن بن علي (ع) من أسحاق أن يزوجه أخته أم إسحاق، فوافق فورا، ولم يكن يعلم من منهم أسبق بالزواج ، فطلب معاوية من يزيد ترك الأمر، فتركها يزيد، ودخل عليها الإمام الحسن (ع)، وأنجبت له طلحة، وتوفي ولم يعقب. لم ينس يزيد هذه الحادثة، فتركت له أثرا في نفسه تجاه اسحاق، فعندما تولى يزيد السلطة، أرسل مسلم بن عقبة المري إلى المدينة، وطلب منه قتل إسحاق، لكنه لم يعثر عليه، فهدم ودمر داره. (علي بن الحسين، 1994، ج ٨/ ص ٢٢٩).

كان عُبيد بن حُنين من أهل عين التمر الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى المدينة في خلافة أبي بكر الصديق، وتزوج عُبيد في الكوفة من امرأة من بني معيض من قريش، أغضب هذا الأمر مصعب بن الزبير الذي كان يحكم العراق في ذلك الوقت، فأرسل في طلب عُبيد لكنه تغيب، فهدم ودمر داره. ابن عبد البر ، ١٩47، ج ١٩/ ص ٢١٧).

ولا شك أن سبب رفض بن الزبير لهذا الزواج آتٍ من خلفية عنصرية يرفضها الإسلام ، وهو أمر خارج تعاليم الاسلام، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا في التقوى ، فالدين لا يمنع ولا يكره زواج الموالي من امرأة عربية، حتى وإن كانت قريشية.

ولي الحارث بن عبد الله القباع ولاية البصرة، ووصل إليه حادثة جرير والفرزدق، عندما وقف بعضهم ضد بعض، فأرسل إليهم عبادا، وعندما سمعا بالأمر فرّا هاربين، فهدم ودمر داريهما، وأرسل طالبا إياهم، فقال الفرزدق :

"أحارثُ داري مرتينِ هدمتَها وكنت ابنُ أختٍ ما تُخافُ غَوائِلُه
وأنتَ امرؤٌ بَطحاءُ مكةَ لم يزل بها منكُمُ مُعطي الجَزيلِ وفاِعلُه"

وقال جرير:

"فما في كتابِ الله هدم بيوتنا كتهديم مَاخُور خبيث مداخلُهْ"

(البلاذري ، ١٩٧٨، ج ٧/ ص 14) .

ثالثا: الهدم ذو الأسباب السياسية.

الهدم في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

تآمر يهود بنو قريظة على المسلمين في المدينة، فتحالفوا في عزوة الخندق مع مشركي قريش، للتخلص من المسلمين، والقضاء عليهم نهائيا، وبعد أن فشلت هذه الغزوة في تحقيق أهدافها، أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) هدم دورهم. (الزيلعي، ١٩٩٣، ج ١/ ص ١٢٠).

الهدم في خلافة الإمام علي (ع) (40-35هـ / 655-660م).

كان علي (ع) يملك عظيم الأثر في الدولة الاسلامية، ونحن الآن لسنا بهدف ذكر فضائله وبطولاته التي غصت بها كتب التأريخ، ونذكر منها الآن ما يخدم عنوان هذا البحث.

دار حوار بين عدد من المسلمين عن الإمام علي (ع)، فقال أحدهم: ابحثوا في العرب، هل تجدون مثالاً لعلي، هدم به الله عز وجل دور المشركين، ونصر به رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ورفع به دولة الاسلام في قتله عددا من المشركين في غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم). (المفيد، ١٩٩٣، ص 144).

استلم الإمام علي (ع) الخلافة بعد مقتل الخليفة أبي عبد الله عثمان بن عفان، واجه علي (ع) تحديات كبيرة تمثلت في معارك عديدة ، قادها وبسط بها سيادة الدول العربية الإسلامية على جميع مناطقها، ونذكر منها حربه مع معاوية بن أبي سفيان الذي تمسك بحكم الشام والذي كان مصرا على عدم مبايعة الإمام علي (ع)، وكان كل من حنظلة بن الربيع بن صيفي الكاتب، و عبد الله بن مالك بن المعتم العبسي من أصحاب الإمام علي (ع)، فلما علما أنه يريد الذهاب إلى بلاد الشام لمقاتلة معاوية بن أبي سفيان، جاؤوا اليه مع عدد من الرجال من بني تميم، وغطفان فقال حنظلة الكاتب لعلي (ع): يا أمير المؤمنين، جئناك بنصيحة وهي أن تكاتب معاوية بن أبي سفيان وأن لا تستعجل في مقاتلة أهل الشام، فنحن لا نعلم لمن يكون النصر في القتال، استمع الإمام علي (ع) لكلامه، وحمد الله وأثنى، وأخبرهم: "أن الله وارث العباد والبلاد، ورب السماوات السبع، والأرضين السبع، وإليه ترجعون، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. أما الدبرة، فإنها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم" ، فقال له أحد أصحابه كان حاضرا معه: يا أمير المؤمنين، إنهم قوم لا يحسنون النصح، وغايتهم الغش، فاحذر منهم. (ابن ابي الحديد، ، ١٩٥٩، ج ٣/ ص١٧٥– ١٧٧).

قام كل من العبسي وحنظلة الكاتب بمكاتبة معاوية بن أبي سفيان، فاقترح أصحاب الإمام علي (ع) أن يزجوهم في السجن، لحين انتهاء القتال، سأل علي (ع) حنظلة فيما إذا كان معه أم ضده فكان جواب حنظلة انه ليس معه أو ضده، فسأله علي (ع) ماذا تريد؟ فأجابه حنظله بأن يذهب إلى مدينة الرها، وأن ينظر لحين انتهاء الأمر، الأمر الذي سبب بغضب بعض الرجال من قومه، وأرادوا قتله، ووقف بعضهم الآخر من قومه بجانبه وأخرجوا سيوفهم، واستنقذوه، فدخل داره وأغلق الباب، وهرب في المساء إلى معاوية بن أبي سفيان، وتبعه عدد من رجال قومه، وهرب العبسي أيضا إلى معاوية مع أحد عشر رجلا. لم يشترك كل من العبسي وحنظلة في القتال، واعزلا من الفريقين، وأمر الإمام علي (ع) بهدم دار حنظلة الكاتب، فهدمت. (ابن ابي الحديد، ،١٩٥٩، ج ٣/ ص ١٧٧).

لا شك في أن العبسي وحنظلة الكاتب لم يوفقا في الموقف الذي اتخذوه، لأنهما نسيا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) "عليٌّ مع الحقِ والحقُّ مع عليٍّ"، لهذا السبب لا يتم حساب المواقف بالفوز او الخسارة، بل بالوقوف مع جانب الحق.

كان جرير بن عبدالله والي همدان، وقد أبعده الإمام علي (ع) عنها عندما تولى الخلافة، وأتى جرير بن عبدالله إلى الكوفة، وبايع الإمام علي (ع) على السمع والطاعة، وكان يريد الإمام علي (ع) إرسال شخص إلى معاوية بن أبي سفيان حاملا إليه كتاباً، فقدم جرير بن عبدالله عارضا خدماته للذهاب، لأن معاوية بن أبي سفيان كان يستمع لنصيحته دائماً، وكان ودودًا للغاية معه، وأكد أنه قادر على إقناعه بطاعة علي (ع)، وأن يصبح أحد عماله، لتجنب إراقة دماء المسلمين، وعارض مالك بن الحارث الأشتر فكرة إرساله إلى معاوية بن أبي سفيان، لعدم الوثوق به، والتأكد من ولائه، وخشية وقوفه في صف معاوية، وفي نهاية الأمر أرسله الإمام علي إلى معاوية بن أبي سفيان، وطال بقاؤه في الشام، وذلك لأن معاوية بن أبي سفيان استخدم أسلوب المماطلة ليكسب الوقت ويتمكن من حشد أهل بلاد الشام، وبعدها قال لجرير بن عبدالله: التحق بصاحبك، لكنه لم يذهب وفضل البقاء معه، وعندما علم الإمام علي (ع) بالأمر، أمر بهدم داره، فضلاً عن دور الرجال الذين خرجوا معه. (ابن ابي الحديد، ، ١٩٥٩، ج ٣/ ص ١١٨).

ومن الجدير بالذكر أن الهدم الذي حدث في عهد خلافة الإمام علي (ع) وقع لمن تركه وذهب إلى عدوه معاوية, لذلك فإن الهدم استخدم كعمليات انتقامية لكل من خان الصحبة، والملح، والزاد، ولكل من أظهر الولاء وبعدها انقلب على عقبيه.

الهدم في مدة حكم معاوية بن أبي سفيان (60-41هـ/ 661-679م).

أرسل معاوية بن أبي سفيان بُسر بن أرطاة إلى المدينة ليقوم بالسيطرة عليها، وجعل أهلها يبايعون معاوية بن أبي سفيان، وفي تلك الأثناء كان جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري والياً على المدينة قبل الإمام علي (ع)، فلم يستطع الأنصاري الوقوف أمام بُسر، فدخل الأخير الى المدينة، وقام بشتم الأنصار، وتوعد النيل منهم ليشفي غليل المسلمين وبني عثمان بن عفان، وأثارت هذه الحادثة الرعب بين سكان المدينة الذين كأوا إلى رجل يدعى حويطِب بن عبد العُزى، وهو زوج أم بُسر، فذهب إليه وترجاه قائلا إن الأنصار من عشيرتك، وإنهم أنصار رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، وإنهم ليسوا من قتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، واستمر بمحادثته حتى هدأ، وطلب من الناس مبايعة معاوية بن أبي سفيان، فبايعوه، ثم أضرم بُسر النار في عدد من المنازل وهدمها، ومنها منزل زرارة بن جروَل، ومنزل أبي أيوب الأنصاري، ومنزل رفاعة بن رافع الأنصاري. (الكوفي، ١٩٩٥، ج ٢/ ص 605).

أرسل معاوية بن أبي سفيان، زهير بن مكحول العامري، وهو من بني كلب، إلى السماوة، لجمع الصدقات من الناس، فعلم الإمام علي (ع) بالأمر، فأرسل ثلاثة من أصحابه إلى السماوة وهم عروة بن العشبة والجلاس بن عمير وهما من بني كلب ، وجعفر بن عبد الله الأشجعي، ليصدقوا من هم في طاعته من بني كلب، انطلقوا ثلاثتهم متخذين الفرات طريقا، حتى وصلوا مكان كلب، فنشب قتال بينهم وبين زهير بن مكحول العامري، وتمكن العامري من هزيمة أصحاب علي (ع)، فقتل جعفر الأشجعي، وتمكن الجلاش بن عمير من الفرار، ورجع عروة بن العشبة إلى الإمام علي (ع)، فعنفه، واصفا إياه بالجبان، وعلاه بالدرة ليضربه، فغضب وترك الكوفة متوجها إلى الشام ليلتحق بمعاوية بن أبي سفيان، فأمر علي (ع) بهدم داره. (ابن عساكر، ١٩٩٤، ج 4/ ص ٢٨٧).

إن السياسة التي انتهجها معاوية بن أبي سفيان على أقل تقدير ، هي حرب سياسية واجتماعية واقتصادية ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فأصدر تعليماته ضدهم وعممها على جميع المدن، فقام أتباعه بمطاردتهم، وتشريدهم، وهدم وتدمير دورهم، وتجويعهم، وحرمانهم من أبسط حقوقهم المدنية. (الكوراني ، ٢٠٠٨، ص 425).

الهدم في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (64-60هـ / ٦٧٩-٦٨٣م).

أُصيب الإمام الحسين (ع)، وكان بذمته دَيْنٌ، وكان يزيد بن معاوية قد كف عن أخذ أمواله، ولكن عمد سعيد بن العاص القرشي إلى هدم وتدمير منزل الإمام علي (ع)، ومنزل أخيه عقيل، ومنزل الرباب زوجة الإمام الحسين (ع)، وكان علي بن الحسين (ع) قد تضايق من ذلك الدين، إذ امتنع أياماً ولياليَ عديدة عن النوم وتناول الطعام والشراب، وذات ليلة جاءه في المنام آت وقال له: لا تقلق على دَيْنِ أبيك ، لأن الله قد قضاه بمال بجيش، فأخبره علي (ع) أنه ليس له علم أن لدى أبيه مال يدعى بجيش، ثم تكررت هذه الرؤيا في ليلة ثانية، فاستفسر من أهله، فقالت له امرأة من أهله إن لأبيه عبد رومي يدعى بجيش، حفر له عين ماء بمكان يدعى ذي خشب، وأن الحسين (ع) أعطى زوجته الرباب بنت امرؤ القيس سقي يوم السبت وليلته نِحلة، فورثتها ابنتها سكينة، وبعد بضعة أيام، أرسل الوليد بن عتبة إبن أبي سفيان إلى علي (ع) قائلا له إنه بلغه أن لأبيه عين ماء تقع بذي خشب تدعى بجيش، وأنه يرغب بشرائها في حال كان علي يرغب ببيعها، فوافق علي (ع) على بيعها بدين الحسين (ع) والبالغ " بضع وسبعون ألف دينار" ، فأخذها الوليد واستثنى ما كان لسكينة، وأوفى دين الإمام الحسين (ع) (القاضي النعمان، ١٩٩٢، ج ٣/ ص 269).

وفي وقعة الحرة (63هـ/ 682م) جاء إلى المدينة مسلم بن عقبة المعروف بمسرف بن عقبة, لأنه أسرف في سفك دماء أهل المدينة ، وحدث هناك قتال عظيم قتل فيه عدد كبير من الناس، وخرب وهدم منازل بني هاشم. (الحائري ، 1965، ص ١١٢).

الهدم خلال حكم عبد الملك بن مروان (86-65هـ / 684-705م).

أمر الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أن يبني مسجده، فبنى فيه بيوتاً له ولزوجاته، وبيتا يقع في الوسط للإمام علي، وفاطمة (عليهما السلام) وحدث ذلك في السنة الأولى من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ، وظل ذلك البيت للإمام علي (ع)، وولده إلى أيام خلافة عبد الملك بن مروان، الذي علم بالحديث النبوي عن سد الأبواب، إذ أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) بغلق جميع أبواب منازل الصحابة المفتوحة على المسجد، إلا باب علي (ع)، أثار هذا الأمر الغيرة والحسد لدى عبد الملك بن مروان، فأمر بهدم المنزل، وتحجج بأنه يريد توسيع مسجد رسول الله، وفي تلك الأثناء كان الحسن بن الحسن يسكن ذلك المنزل، ورفض الخروج منه، وأصر على منعهم من هدمه، لكنه لم يتمكن من مقاومتهم، فألقوا القبض عليه، وضربوه بالسياط، فتدخلت وتصايحت الناس، عندئذ أخرج الحسن بن الحسن من المنزل، وهدمه، ووسع المسجد. (ابن شهر آشوب ، 1956 ، ص 36).

ومن المؤكد أن تصرف الحسن كان نابعاً من الشريعة الإسلامية التي لا تسمح بأخذ دور الناس لغرض توسيع المساجد، فيترك الأمر لأصحاب الدور يوافقون أم لا، ومن الظاهر أن الحسن كان يعلم بقيمة المنزل الذي يسكنه، فهو مليء بعطر الرسول محمد (صلوات الله عليه)، وآل بيته (سلام الله عليهم)، ولهذا السبب كان مصرا على عدم التفريط به ، ولكن الجهة الحاكمة أصرت على هدم المنزل.

وقال زيد إبن الإمام علي (عليهما السلام): "ألستم تعلمون أنا ولد نبيكم المظلومون المقهورون فلا سهم وفينا، ولا تراث أعطينا، وما زالت بيوتنا تهدم، وحرمنا تنتهك، وقائلنا يعرف، يولد مولودنا في الخوف، وينشؤ ناشئنا بالقهر" . (المجلسي، ١٩٨٣، ج 46/ ص ٢٠٩).

يبين حديث زيد حجم المعاناة التي كان يعاني منها آل البيت، إذ تعرضت منازل الرسول وآل بيته إلى الهدم خلال القرن الهجري الأول و بضع سنوات من القرن الهجري الثاني، ويترك الهدم آثارا نفسية كبيرة في نفوس المهدمة منازلهم ظلما وعدوانا.

وكان هناك قرار تم اتخاذه من الحكام لإضعاف المدينة والقضاء على دورها في تقوية مشاعر المسلمين وتشددت إجراءات السلطات الحاكمة في المدينة على آل بيت النبوة (عليهم السلام)، فطبقوا عليهم مختلف أنواع الظلم والتعسف، فدمروا وهدموا منازلهم، وهناك عدة شواهد على ذلك الأمر، ومنها حين شرع علي بن الحسين (عليهما السلام) ببناء منازل آل عقيل بن أبي طالب، التي كان قد هدمها ودمرها الوالي الأموي في المدينة. (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ج45/ ص 344)

وقد ذكر الإمام محمد الباقر (ع) لأصحابه قدر الظلم والمعاناة التي واجهوها من قريش، وما لحق بشيعة ومحبي الإمام الحسين (ع) بعد استشهاده، إذ استمرت مطاردتهم وقتلهم في كل بلدة، وقطعت أيديهم، وأرجلهم و صلبوا على التهمة و الظنّة ، وكل من ذكر بحبنا كان مصيره السجن أو نهب ماله أو هدم وتدمير داره. (القندوزي ، ١٩٩٥ ، ص ٣٧٨).

الهدم في عهد المختار بن أبي عبيد الثقفي (67-66هـ / 685-686م).

ثار المختار على الحكم الأموي، طالبا الثأر. من سفك دم الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام)، وأصحابه، حدثت ثورة المختار في الكوفة، ومن المعروف أن بعض سكان الكوفة انظموا مع الجيش الأموي في واقعة كربلاء سنة 66هـ، فلما

انتصر المختار في ثورته، عزم على النيل من كل من شارك في مساعدة السلطات الحاكمة على قتل الإمام الحسين وسفك دماء آل بيته، فقرر هدم وإحراق منزل أسماء بن خارجة، كونه أعان في سفك دم مسلم بن عقيل (ع)، فعندما وصل هذا الخبر إلى أسماع أسماء عزم الهرب الى البادية، فأرسل المختار عدداً من الرجال لهدم منزله ومنازل بني عمه. (ابن أعثم، ١٩٩١، ص ٢٥٤).

ودعا المختار رجلا من أصحابه يقال له حوشب الهمداني، وقال له: "ويحك يا حوشب، أنت تعلم أن بن الأشعث شارك في قتل الحسين بن علي، الله لا يهنئني النوم ولا القرار ورجل من قتلة الحسين بن علي يمشي علي وجه الأرض، وقد سمعت أنه يسكن قرية مجاور القادسية، فاذهب إليه في مائة رجل، فاقتله وجئني برأسه" ، وخرج حوشب الهمداني مع أصحابه إلى قرية بن الأشعث، ولما علم بن الأشعث بالأمر خرج هاربا في جوف الليل من باب آخر له متوجها إلى البصرة، ولما علم حوشب بهروب بن الأشعث، كتب إلى المختار ليعلمه بالأمر، فكتب المختار إليه: "انك ضيعت الحزم ولم تأخذ بالوثيقة، لذلك أشرع بهدم قصره، وخرب قريته، واتني بأمواله"، فنفذ حوشب الهمداني الأمر وهدم قصر بن الأشعث. (الكوفي، 1995، ص ٢٥٥).

وقتل المختار عدداً كبير ممن ساعدوا في قتل الإمام الحسين وسفك دماء آل بيته، وقام برصدهم بتتبع أخبارهم، واستطاع بعض منهم الهرب ومنهم سنان بن أنس و عبد الله الغنوي، فهدم ودمر دورهم. (الحلي، ١٩٧٢، ص ٢٨٧)، (ابن نما ، ١٩٩٠، ص ١٢٠).

واستطاع عبد الله بن عروة الخثعمي الهروب إلى مصعب بن الزبير، فقام المختار بهدم داره، وكان الشمر بن ذي الجوشن، وهو من قبيلة بني كلاب، قد أخذ عدداً من الإبل التي كانت في رحل الحسين (ع)، فنحرها، وقام بقسمة لحمها على بعض أهل الكوفة، فأمر المختار بإحصاء الدور التي أخذت من تلك اللحوم، فقتل أهلها، وهدمها. (ابن نما ، ١٩٩٠، ص ١٢٩). لا يمكن الاعتماد على الرواية في أعلاه، فهي رواية لا يمكن تصديقها، فنعم قتل المختار كل من شارك في قتل الإمام الحسين (ع)، وسفك دماء أهل بيته، وذلك أمر محمود، ولكن قتل أهل الكوفة فقط لأنهم أكلوا من لحم الأبل التي كانت في رحل الإمام الحسين (ع) هو أمر بعيد كل البعد عن خُلُقه خصوصا أنه نشأ في أحضان الإمام علي (ع)، فضلاً عن أنه كان يقرب محمد بن الحنفية (ع)، فمن دون أدنى شك أن من يقربهم، يتبع سيرتهم العطرة التي تبين وتعكس حقيقة الإسلام، والمختار كان يعلم بقول الله عز وجل في محكم كتابه: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون"، فالمختار رجل مؤمن خرج عازما على أخذ الثأر ممن سفكوا دماء نفوسٍ مؤمنة.

الهدم في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان (96-86هـ / 705-714م).

هدم الوليد الكنيسة التي كانت تقع في الجهة الغربية من الجامع الأموي الكبير، فوجدوا في الجدار الغربي من الكنيسة حجراً مكتوب عليه باللغة السريانية، فلم يستطع أحد قراءة ما عليه، فأمر الوليد بطلب المؤرخ وهب بن منبه، وعندما قرأ وهب الكتابه بكى، ووصل الأمر إلى أسماع الوليد، فسألة عن سبب بكائه، فقال: "تحدثت الكتابات عن فقدان الأحبة، وتحدثت عن أهوال يوم القيامة. (علي بن الحسين، ١٩٩٤، ج ١٩/ ص ٢٤٣).

الهدم في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان (125-105هـ / 724-743م).

طبقت سياسة الهدم في عهد هشام بن عبد الملك حين تم هدم منزل عبد الله بن عامر، وكان إبراهيم بن هشام المخرومي هو من قام بهدم المنزل, وذلك بأمر من هشام بن عبد الملك، وذات يوم، مرّ إبراهيم بعبد الله، فقال اصبر، وأجاب عبد الله أنه يعرضهم على الله خمس مرات باليوم، ويعني بذلك يدعو الله عليهم.

الهدم في عهد يزيد بن الوليد بن عبد الملك (126هـ / 744م).

استلم يزيد الحكم بعد مقتل والده الوليد بن عبد الملك، فطلب من الناس أن يبايعوه، مدعيا أنه ناسك ومقرئ للقرآن، وله أخلاق عمر بن عبد العزيز ، ومتعهدا بالحفاظ على حسن السيرة والسلوك، وثارت الفتن حين علم أهل الشام بمقتل الوليد بن عبد الملك، واستطاع سليمان بن هشام بن عبد الملك الفرار من السجن الذي حبس فيه في عمان، وكان الوليد هو من حبسه هناك، وأخذ سليمان الأموال التي كانت موجودة فيها، وخرج إلى الشام، وغلق أهل الشام أبواب المدينة، وأقاموا العزاء على الوليد بن عبد الملك، وهدموا ودمروا منزل العباس بن الوليد بن عبد الملك، كونه ساعد في قتل الوليد بن عبد الملك، وتعهد أهل الشام على عدم مبايعة يزيد، وانقلبوا عليه، فأرسل يزيد إليهم جيشا وهزمهم. (ابن الجوزي ، ١٩٩٢، ج ٧/ ص ٢٠١).

الهدم في عهد مروان بن محمد (132-127هـ / 744-749م).

هزم مروان بن محمد في معركة الزاب التي حدثت سنة 132هـ، وهو آخر خلفاء بني أمية، خرج إلى الموصل، فمنعوه أهل الموصل من الدخول إلى مدينتهم، فذهب إلى مدينة حران، حيث يوجد منزله، وكان جنود عبد الله بن علي يتتبعون مروان بن محمد، وحين علم مروان بقدوم جيشه، فر هاربا، فهدم عبد الله بن علي قصره. (ابن ابي الحديد،1959، 122).

الخاتمة.

من خلال العرض الموجز في أعلاه لسياسة الهدم في المشرق الإسلامي إلى سنة 132هـ، وهي نهاية الدولة الأموية، تم الحصول على نتائج عدة:

1- استخدمت سياسة الهدم منذ زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لكنها لم تطبق على المنازل، وانما على مسجد تم تأسيسه لتفرقة المسلمين، وعلى الأصنام التي كانت تتعبدها العرب.

2- هناك أسباب عديدة للهدم قد تكون دينية، أو سياسية، أو اجتماعية.

3- يتشابه معنى الهدم لغتا واصطلاحا.

4- لم تشهد مدة حكم الخلفاء الثلاثة الأوائل سياسة الهدم، وذلك لانشغال المسلمين في تلك المدة بالفتوحات الإسلامية.

5- شهدت مدة خلافة الإمام علي (ع) هذه السياسة، وتم تطبيقها على من تركه وذهب الى عدوه معاوية بن أبي سفيان في الشام.

6- استخدمت سياسة الهدم على نطاق واسع في عهد الدولة الأموية.

7- على الرغم من قصر مدة حكم المختار الثقفي إنه طبق تلك السياسة على عدد كبير من الدور لمن ساعد أصحابها في قتل الإمام الحسين (ع).

8- يزداد معدل الهدم خلال الاضطرابات والثورات.

المصادر والمراجع.

القرآن الكريم

1_ ابن أعثم, أبو محمد أحمد الكوفي, (1991)، "الفتوح" ، ط1، بيروت ، دار الأضواء للطباعة والنشر.

2_ الآلوسي, شهاب الدين محمود بن عبد الله، (1992)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" ، ط1 ، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر.

3_ البلاذري, احمد بن يحيى بن جابر ، (1978), "انساب الاشراف" ، ط1 ، بيروت ، مطبعة دار الفكر .

4_ ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن،(١٩٩٢), "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر.

5_ الحائري, محمد مهدي ،(1965) ، "شجرة طوبى" ، ط 5 ، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية.

6_ ابن ابي الحديد, عبد الحميد بن هبة الله، (1959)، "شرح نهج البلاغة" ، ط1 ، بيروت، دار أحياء الكتب العربية للطباعة والنشر.

7_ الحلي, تقي الدين الحسن بن علي، (١٩٧٢)، "رجال ابن داود" ، ط1 ، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية.

8_ الزيلعي, عبد الله بن يوسف، (1993)، "تخريج الأحاديث والآثار"، ط1 ، الرياض، مطبعة دار ابن خزيمة.

9_ ابن سعد, محمد بن سعد بن منيع ، (٢٠٠١)، "الطبقات الكبرى" ، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر.

10_ ابن شهر آشوب, مشير الدين محمد بن علي،(1956) ، "مناقب آل أبي طالب" ، ط1، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية.

11_ الطبرسي, احمد بن علي، (1966)، "الاحتجاج" ، النجف الأشرف ، دار النعمان للطباعة والنشر.

12_ الطبري, محمد بن جرير، (١٩٨٣)، "تاريخ الامم والملوك" ، ط4 ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر.

13_ ابن عبد البر, يوسف بن عبد الله ، (١٩٩٢)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ط 1، بيروت ، دار الجيل للطباعة والنشر.

14_ ابن عساكر, علي بن الحسين، (1994)، "تاريخ مدينة دمشق"، ط 1، بيروت، دار الفكر.

15_ القاضي النعمان. أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي، (١٩٩٢)، "شرح الاخبار" ، ط1 ، قم، مؤسسة النشر الاسلامي.

16_ القمي, علي بن إبراهيم، (١٩٨٣)، "تفسير القمي" ، ط ٣ ، قم ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر.

17_ القندوزي, سليمان بن إبراهيم، (1995)، "ينابيع المودة لذوي القربى"، ط1 ، قم ، دار الاسوة للطباعة والنشر.

18_ الكليني, محمد بن يعقوب، (1947)، "الكافي" ، ط1 ، طهران ، دار الكتب الاسلامية.

19_ الكوراني, علي العاملي،(2008) ، "العراق عرين القبائل العربية"، ط ١ ، بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر.

20_ الكوفي, إبراهيم بن محمد، (1995)، "الغارات" ، ط ١، بيروت ، دار الاضواء للطباعة والنشر.

21_ المجلسي, محمد باقر، (١٩٨٣)، "بحار الانوار"، ط ١، بيروت ، مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر.

22_ ابن منظور, جمل الدين محمد، (1984)، "لسان العرب" ، ط3 ، قم ، مكتبة أدب الحوزة.

23_ ابن النعمان, ابو عبد الله محمد, (١٩٩٣) ، المفيد ، "الاختصاص" ، ط ٢، بيروت ، دار المفيد للطباعة والنشر.

24_ ابن نما, جعفر بن محمد، (١٩٩٠)، "ذوب النضار" ، ط1 ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي.

25_ اليعقوبي, احمد بن واضح، (1985) ، "تاريخ اليعقوبي" ، ط1 ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر.